تحديات تجديد التفكير الديني الإسلامي عند عبد الجبار الرفاعي

Abdoul Jabbar Alrefaee's Perspective on the Challenges to the Reconstruction of Islamic Religious Thought

الدكتورة زينب عبد العزيز[1]

ملخص المقال :

لأن المداخل إلى تجديد الفكر الديني متعددة ومتنوعة باختلاف زوايا النظر فيها؛ فقد هدف هذا المقال إلى بيان رؤية المفكر العراقي عبد الجبار الرفاعي حول تجديد التفكير الديني الإسلامي؛ فهو ينظر إلى الدين من منظار الروحانية التي تمنح القلب طمأنينة وراحة، وينظر إلى المسلمين على اختلاف مذاهبهم في تكافؤ.

وقد أردنا من خلال هذا المقال الإجابة عن الإشكالية الرئيسة الآتية: ما مفهوم التجديد الديني الإسلامي عند عبد الجبار الرفاعي؟ وما هي أساساته وتحدياته عنده؟

وقد سرنا وفق المنهج الوصفي بآلياته المختلفة للوصول إلى نتائج من أهمها أن عبد الجبار ينظر إلى التجديد من ناحية أنه طريقة قراءة الدين هي من تحدد للإنسان طريقته في الوعي بوجوده والتعامل مع كل شيء في هذه الحياة.

كلمات مفتاحية: تجديد الفكر الديني، كرامة، دين معنوي، عبد الجبار الرفاعي

Abstract:

This article aims to investigate Abdoul Jabbar Alrefaee's views on the reconstruction of Islamic religious thought. We will concentrate on a selection of main questions to help direct our article: What does Alrefaee identify as the reconstruction of Islamic religious thought? Which fundamental ideas and fields of application does he identify?

In order to arrive at significant conclusions, we have employed a descriptive methodology. One important realization is that Alrefaee sees Reconstruction as a way to understand religion, which influences how humans see themselves and interact with the world.

Keywords: The Reconstruction of Islamic Religious Thought, Dignity, Spiritual Religion, Abdoul Jabbar Alrefaee

(1) جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة (الجزائر).

مقدمة:

منذ أن غُلق باب الاجتهاد دخل المسلمون في مرحلة ركود وجمود أعقبها تقدّم وتطوّر أمم أخرى حملت مشعل العلم والمعرفة بدلا عن الحضارة الإسلامية، مما جعل المفكرين ينتفضون متسائلين عن سرّ تأخرهم وتقدّم غيرهم، ومن هناك برز الحديث عن نقد التراث، وعن ثنائية الأصالة والمعاصرة، وعن الإحياء والاصلاح، وعن ضرورة تجديد الفكر الإسلامي...

وبالحديث عن تجديد الفكر أو التفكير الإسلامي والديني فقد برز عدّة مفكرين وفلاسفة مسلمين كانت لهم مداخل ومناهج مختلفة أو متداخلة مع بعضها، كل ينشد طريق التقدم وفق نظرته ورؤاه الخاصة. وإذا جئنا إلى عصرنا الراهن فإننا نجد المفكر العراقي عبد الجبار الرفاعي قد أفنى عمره في مشروع تجديد التفكير الديني، فقد أراد ترسيخ فكرة أن ننظر إلى الدين من منظار الروحانية التي تمنح القلب طمأنينة وراحة، وأن ننظر إلى المسلمين فضلا عن غيرهم من الناس باختلاف مذاهبهم ومشاربهم بتكافؤ، وإن كان الغوص في فكره وأفكاره يأخذ الكثير من الوقت نظرا لما قدّمه طيلة سنوات مديدة قضاها بين رحاب المطالعة والتأليف والتدريس في شتى قضايا الفكر الديني، أو مثلما عبّر هو عن ذلك (الرفاعي، الدين والنزعة الإنسانية، 2018، صفحة 5) "كانت أعمالي في العقد الأخير تهتم بدراسة ماهية الدين وفهم حقيقته، وتحديد مديات وظيفته وما يمكن أن يقدمه للكائن البشري، والتعرف على مختلف آثاره وتجلياته المتنوعة في حياة الفرد والمجتمع"؛ فإننا في هذا المقال سنخصص بحثنا لمعالجة تحديات تجديد الفكر الديني الإسلامي عنده، من خلال الإجابة عن الإشكالية الآتية: ما مفهوم التجديد الديني الإسلامي عند عبد الجبار الرفاعي؟ وما هي أساساته وتحدياته؟

وقد سلكنا في ذلك المنهج الوصفي بآلياتي الاستقراء والتحليل في تتبع المفاهيم والتحديات التي تعترض طريق التجديد الديني الإسلامي من منظور عبد الجبار الرفاعي.

كما نريد الوصول إلى الأهداف الآتية:

- بيان مفهوم عبد الجبار الرفاعي للدين ولمسألة التجديد فيه.
- إدراك بعض أبعاد تجديد التفكير الديني الإسلامي عند الرفاعي.
- تحديد بعض تحديات تجديد التفكير الديني الإسلامي عند عبد الجبار.

وقد سرنا في هذا البحث وفق خطة ثلاثية أولها: مفهوم الدين وتجديده عند عبد الجبار الرفاعي. وثانيها: إعادة النظر في علم الكلام عند الرفاعي. وثالثها: متفرقات تخصّ تحديات تجديد التفكير الديني عند الرفاعي.

مفهوم الدين وتجديده عند عبد الجبار الرفاعي

1.2 في لزوم تغيير النظرة للدين:

يعرّف عبد الجبار (الرفاعي، 2023، صفحة 17) الدين الإسلامي بقوله: "الدين حياة في أفق المعنى، الدين نظام لإنتاج معنى روحي وأخلاقي وجمالي لوجود الإنسان في العالم، تفرضه حاجة الكائن البشري الأبدية للمعنى في حياته الفردية والمجتمعية". وهو تعريف عميق للدين يتناول فيه حاجة الإنسان لبعد معنوي وروحاني لحياته، بدل تعريفه بالأحكام الفقهية أو بالحلال والحرام، أو بالحق والباطل، فهدف الدين عنده هو (الكعبي، حدادي، و شمعون الشيخ، 2025، صفحة 68) "تأصيل محبة الإنسان وكرامة نفسه في الدنيا والآخرة"، ووظيفته هي (الرفاعي، الدين والنزعة الإنسانية، 2018، الصفحات 47-48): "إنتاج المعنى، الدين

يضيء ما هو مظلم في حياتنا، ويكشف عن تجليات الجمال والجلال في العالم، بل إن الدين لا يقتصر على كشف جمال العالم، وإنما غالبا ما يراها المتدين شفيفة رقيقة، متناسقة مع عناصر الكون ونظامه، لترتسم كل عناصرها في لوحة مضيئة. وهكذا يغدو العمل في حياة المتدين أيسر وأقل مشقة، إذ تمنحه رؤية العالم بهذه الصورة قدرات إضافية على مواصلة الكدح والجد والمثابرة".

ومن نظرة المرء للدين وبطريقة قراءته تتحدد رؤيته لجميع مناحي حياته؛ بداية من نفسه وشكل ونمط وجوده وعلاقته بالآخر المشابه له دينيا أو المختلف معه دينيا، وبكيفية إدارة حياته وحله لمشاكله، وأكثر من ذلك فإن هذه النظرة تحدد إذا ما كان الدين عامل بناء، أو معول هدم. لذلك يشدد عبد الجبار (الرفاعي، 2023، صفحة 18) على إعادة تشكيل النظرة للدين فـ"من يريد أن يعلّم الناس المحبة يجد الدين منبعا لا ينضب يمكن استثماره في تكريسها، كذلك يمكن استغلال الدين في إشاعة الكراهية" وهذا الذي نراه اليوم ماثلا أمام ما يعرف بالإسلاموفوبيا التي تشكلت عند غيرنا من أن الإسلام دين قتل ودماء وإرهاب وتخلف، موهذا مرّده إلى تصرفات الجماعات التكفيرية والدموية التي كانت وما تزال لحد اليوم ترعب وتقتل باسم "الله أكبر".

فإشارة عبد الجبار (الرفاعي، الدين والظمأ الأنطولوجي، 2018، صفحة 17) إلى حاجة الإنسان للدين ولهذا المعنى في حياته أطلق عليه مصطلح "الظمأ الأنطولوجي" أو "الظمأ للمقدس، أو الحنين للوجود، إنه ظمأ الكينونة البشرية بوصف وجود الإنسان وجودا محتاجا إلى ما يثريه، وهو كائن متعطش على الدوام إلى ما يرتوي منه". وهذا ما يعطي لحياة ووجود الإنسان معنى (مناد، 2024، صفحة 80)، فـ"حين يرتوي الظمأ الأنطولوجي للشخص البشري، يكف الدين عن أن يكون أداة للصراع على الثروة والقوة والسلطة، وتتكرس وقتئذ الحياة الروحية الأخلاقية للشخص البشري".

2.2 في مفهوم التجديد عند الرفاعي:

في وجود مصطلحات الإحياء والإصلاح والتجديد، يستخدم الرفاعي (الرفاعي، 2023، الصفحات 81-82) مصطلح التجديد في كل كتاباته، ولهذا الاستعمال مقصد يكمن في: "إعادة تفكيك البنية التحتية التي أنتجت معارف الدين في ضوء المنطق والمناهج وأدوات النظر الموروثة، وغربلتها وإعادة بنائها في ضوء منطق الفلسفة والعلوم والمعارف وأدوات النظر الحديثة... [و] إعادة فهم الدين وتحديد وظيفته المحورية في الحياة، وإعادة بناء مناهج تفسير القرآن الكريم والنصوص الدينية، وبناء علوم الدين ومعارفه في ضوء الفلسفة وعلوم الإنسان والمجتمع ومختلف المعارف الحديثة. منطلق التجديد هو الوعي بأن متطلبات العيش في عصرنا وتحديات الواقع لا يمكن أن نستجيب بها بما نطق به المتكلمون والمفسرون والفقهاء والمتصوفة في عصور سابقة".

فهو يرى ضرورة اكتشاف نظرية المعرفة في الإسلام والتي تشكلت وفقها كل علوم الدين، بداية من علم الكلام والذي تحكّم في بقية علوم الدين. لذلك؛ فالإحياء عنده هو استئناف التراث، والإصلاح هو محاولة ترميم معارف الدين من ناحية الشكل لا المضمون (مناهج التفكير والنظر)، والسلفية هي رفض كل جديد والتحسس منه والأخذ بالقديم بلا أي إعادة نظر له (الرفاعي، مقدمة في علم الكلام الجديد، 2023).

ولتجديد الدين عند الرفاعي تسعة أركان؛ أولها هو إعادة تعريف الدين وتعريف الإنسان. وثانيها هو دراسة علوم ومعارف الدين بشكل معمق استيعابا ونقدا، بالإضافة إلى تسجيل ما هو حي ومحيي فيه. وثالثها هو الاستيعاب النقدي للمعارف والعلوم الحديثة ومحاولة توظيفها في قراءة وتحليل النص الديني خصوصا في تفسير تمثلات الدين في حياة الفرد والمجتمع واكتشاف خصائص التجارب الروحية المختلفة للإنسان. ورابعها هو محاولة معرفة صلة السلطة بتشكل العلوم والمعارف الدينية، وكيف تشكّلت المؤسسات الدينية. وخامسها هو دراسة الدين في التاريخ لمعرفة مختلف أشكال التدين عبر التاريخ وصلة ذلك بإنتاج المعنى الديني والعلوم والمعارف الدينية. وسادسها هو معرفة وسائل إنتاج المعرفة الدينية سابقا وتمحيصها وغربلتها من أجل إعادة بناء أدوات جديدة تساعد على

إعادة قراءة النص الديني في أفق العصر الجديد. وسابعها هو محاولة التحرر من التفسيرات المغلقة للنص الديني، والانفتاح على المناهج الحديثة التي يمكن الإفادة منها. وثامنها تحليل المتخيل الديني تحليلا نقديا لأن له دورا في التحكم بحاضر ومستقبل الناس، لذلك من يمتلك أدوات إنتاج هذا المتخيل يمتلك السلطة. وتاسعها ألا ينطلق التجديد من التراث لينتهي إليه، ولا من الواقع بتصوير أن التراث يستجيب له (الرفاعي، مقدمة في علم الكلام الجديد، 2023).

وبهذا؛ فالتجديد عند الرفاعي (خليفة المبروك، 2024، صفحة 6) "لا يعني قطيعة ابستيمولوجية مطلقة مع التراث القديم، بل إعادة النظر إليه بالعين الناقدة والفاحصة، والتي تتلاءم مع ثقافة العصر ومعطياته، وإعادة إنتاج فهم للدين ونصوصه يحرره من إسقاطات التاريخ ويحرر المسلم من غربته عن عصره، وذلك بالانفتاح على المكاسب الهائلة للمعارف والعلوم الراهنة، خاصة الفلسفة والعلوم الإنسانية، والتخلص من عقد التعامل مع معطيات العلم الحديث".

إعادة النظر في علم الكلام عند الرفاعي

1.3 لم نحتاج إلى تجديد في علم الكلام؟

نشأ علم الكلام في مرحلة مبكرة في التاريخ الإسلامي، وقد تحكمت في ذلك عوامل عديدة على رأسها الأسباب السياسة المتعلقة بإمامة الأمة، ونظرا لاستيعاب الإسلام لشعوب متنوعة انطوت تحت رايته، فقد تناهى إلى مسامع المسلمين آراء وأفكار جديدة تنتمي إلى ذاكرة الملل والنحل التي أتى منها أصحابها، خصوصا المتعلقة بحقيقة الإيمان، وطبيعة الصفات الإلهية وغيرها من المسائل، وأدى احتكاك المسلمين بهذه الآراء إلى إثارة جدالات عقلية صاغت رؤى مختلفة حول تلك الاستفهامات والإشكالات، ثم تبلورت تلك الاجتهادات لمواقف واتجاهات مذهبية إنبنت عليها الطوائف المذهبية، وغذى الاتصال بالحضارة اليونانية والمنطق الأرسطي من مقولات المباحث الكلامية، حتى صارت قواعد المنطق الأرسطي هي نهاية التفكير والبحث والجدل الكلامي إلى اليوم (الرفاعي، الإجتهاد الكلامي مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد). لذلك فإن التجديد عند عبد الجبار لا بد أن يمرّ لزوما على تجديد علم الكلام، بل ويعدّ كل محاولة للتجديد لا تنطلق من علم الكلام ومسلماته المنطقية والفسلفية محاولة مبتورة، تحاول القفز إلى النتائج مباشرة دون البدء بالمقدمات (الرفاعي، مقدمة في علم الكلام الجديد، 2023).

فمنطلق التجديد هو التفتيش في البنية العميقة المولدة للمقولات الإعتقادية في عقل المتكلم، وما يوجه عقل الفقيه في الفتوى واستنباط الأحكام، فنمط فهم النصوص يرتبط بالأحكام المسبقة للإنسان التي توافق رؤيته للعالم ومفهومه، فلا يمكن أن تتشكل رؤية العالم وآراءه الاعتقادية قبل أن يتشكل التفكير الكلامي وقراءته (مناد، 2024)، فالاجتهاد يبدأ بتجديد العقل الكلامي، لأن الاجتهاد والاستنباط الفقهي يقوم على أصول الفقه الذي هو مسلمات ومقولات لاهوتية حقلها هو علم الكلام (الرفاعي، مقدمة في علم الكلام الجديد، 2023).

إن تجديد علم الكلام من منظور الرفاعي (الرفاعي، مقدمة في علم الكلام الجديد، 2023، صفحة 99) إنما "يستوعب غربة الواقع ومشكلاته المزمنة، ويتجاوز غربة التراث؛ ذلك أن التراث ينتمي إلى واقع مضى، فالإصرار على استدعائه بتمامه يعني استدعاء ذلك الواقع، ومن ثم إلغاء عنصري الزمان والمكان ونفي الصيرورة والتحول، والنزوع نحو سكونية لاتاريخية، يتكرر فيها الماضي والحاضر والمستقبل، وتغدو عملية التقدم هروبا ارتداديا إلى الوراء، وتوغلا في الماضي، واستئنافا للأفكار والمواقف والنماذج التاريخية ذاتها. وكأن الأموات في حياتنا أشد حياة من الأحياء. وكأن حاضرنا ومستقبلنا يقبض عليه ويصنعه الأموات أكثر مما نقبض عليه ونصنعه نحن".

لذلك فأهمية "علم الكلام الجديد" عند الرفاعي تتضح في النقاط الآتية: (الرفاعي، مقدمة في علم الكلام الجديد، 2023)

●التمييز بين: الإلهي والبشري، والمقدس وغير المقدس، وبين الدين ومعرفة الإنسان للدين، وبين القرآن الكريم وتفسيره، وبين الدين والتدين، وبين حدود الوحي اللإلهي والعقل الإنساني... فعلم الكلام الجديد إنما يكشف مجالات كل من المقدس والدنيوي.

●يعمل علم الكلام الجديد على إيقاظ التفكير الحر عند الإنسان، فالمتكلمون قديما طرحوا مختلف المواضيع، في حين أصبحت اليوم من المحظورات والمحرمات.

●يحاول علم الكلام الجديد أن يعطي تعبيرا جماليا رحيما عن الدين، بعيدا عن التدين المتوحش المتفشي حاليا.

●للمتكلّم دور في تشكيل صورة الله في نفس الإنسان، وهي التي تشكّل بدورها نمط التدين الذي يمارسه الإنسان.

●يهدف علم الكلام الجديد إلى معالجة التراث في ضوء العلوم والمعارف الراهنة بعيدا عن التحيزات الطائفية التي كانت تغذي علم الكلام القديم.

2.3 تحديات تجديد علم الكلام:

أشار عبد الجبار الرفاعي إلى مجموعة من التحديات التي ترافق الوصول إلى علم كلام جديد، ويمكن لنا أن نجملها في النقاط الآتية:

●الاعتزاز بالإنسان وكرامته وحريته: كان الإنسان مهمَلا في مباحث علم الكلام القديم، على الرغم من أن تأكيد الدين على تكريمه وهدايته، وهي كرامة تتسع لكل بني آدم؛ (الرفاعي، مقدمة في علم الكلام الجديد، 2023، الصفحات 56-57) فـ"الكرامة قيمة أصيلة، إنها أحد مقومات الكينونة الوجودية لإنسانية الإنسان، حضورها يعني حضور إنسانية الإنسان، وغيابها يعني غياب إنسانية الإنسان. الكرامة وعي الإنسان بالحرية واستحضارها في القول والفعل. كل رسالة تحررية في التاريخ البشري تستمد قيمتها ومشروعيتها من قدرتها على استرداد الكرامة البشرية المهدورة. المعيار الكلي لاختبار إنسانية أي دين هو كيفية تعاطيه وإعلائه للكرامة الإنسانية، والموقع الذي تحتله الكرامة في منظومة القيم لديه... احترام الكرامة الإنسانية مقصد من مقاصد الدين وأسمى أهدافه، وذلك يفرض أن يعاد تفسير كل نص ديني بما لا ينقض الكرامة أو ينتقص منها". لذلك يستهجن عبد الجبار (الرفاعي، الدين والكرامة الإنسانية، 2024، صفحة 299) الاستعباد بشتى أنواعه، والذي تَمثّل في وقت مضى في الرق؛ فالرق "أقسى أنماط احتقار البشر؛ لأنه احتقار للإنسان وهتك لكرامته"، ويستهجن أن تهان وتنتقص كرامة الإنسان تحت أي مسمى أو علم.

●التوحيد طاقة حية تُنتج الإيمان: في نظر الرفاعي (الرفاعي، مقدمة في علم الكلام الجديد، 2023، الصفحات 57-58) فإن المولى سبحانه وتعالى أراد "للتوحيد أن يكون صبغة لحياة الإنسان... كانت العقيدة التي يستلهمها المسلم من القرآن طاقة حية تنتج الإيمان، وتوجّه السلوك، لأنها تجعل الإيمان معطى عمليا فاعلا، مفعما بالحيوية، عبر دمج النظر بالعمل، وعدم الفصل بين الإيمان بوصفه حالة وجدانية، والسلوك الإنساني الذي يتجلى من خلاله المحتوى السلوكي العملي للتوحيد". غير أن علم الكلام القديم عمل على تعميق البعد النظري في العقيدة (الرفاعي، مقدمة في علم الكلام الجديد، 2023، صفحة 58) و"تفريغ التوحيد من مضمونه العملي، والتعامل مع المعتقدات على أنها مفاهيم ذهنية مجردة لا صلة لها بالواقع. ولم تعد مظاهر السلوك المختلفة تندفع بتلقائية ووضوح من مرجعيتها العقيدية، وغدت حقائق العقيدة أقرب إلى التصديقات الذهنية، غايتها في ذاتها، وضعف الشعور بغاياتها السلوكية. وأن قيم التوحيد الروحية والأخلاقية التي كانت تطبع حياة المسلمين أصبحت بعد ذلك

منحسرة في أذهان المسلمين إلى بعد واحد تجريدي، هو وحدانية الله، وتقلّص أثرها في مناحي الحياة العلمية". لذلك فالتحدي أن يعود علم الكلام الجديد بجمالية وفعالية التوحيد في عقل وقلب وسلوك الإنسان.

●تجديد آليات التفكير الكلامي: ينبني التفكير الكلامي القديم على المنطق الأرسطي، ولو صح إطلاق كل ما يؤخذ عن الغرب تغريبا، لكان المتكلمين القدماء ضمن هذا التصنيف. لذلك فالتحدي بالنسبة لعلم الكلام القديم أن يجد له أساسات ووسائل متطورة مواكبة لروح العصر (الرفاعي، مقدمة في علم الكلام الجديد، 2023).

●ضرورة استدعاء المضمون الأخلاقي: يرى الرفاعي أن علم الكلام القديم اهتم بالحكمة النظرية بعيدا عن التطبيق، لذلك فالمطلوب من علم الكلام الجديد أن يستدعي المضمون الأخلاقي التطبيقي في مسائله وقضاياه (الرفاعي، مقدمة في علم الكلام الجديد، 2023)؛ نظرا لأنها (مناد، 2024، صفحة 96) "تخفف مواجع الحياة ونكباتها وتؤسس للإيمان عن طريق الحب الذي يجعل القلوب جوها نفسيا".

متفرقات تخصّ تحديات تجديد التفكير الديني عند الرفاعي

1.4 محاولة الخلاص من نسيان الإنسان:

عرضنا سابقا أن وظيفة الدين من وجهة نظر الرفاعي (الرفاعي، الدين والنزعة الإنسانية، 2018) هي "إنتاج معنى لحياة الإنسان"، وهذه الوظيفة منسية في معظم أدبيات الجماعات الإسلامية التي أغرقت نفسها في الفرقة والخلاف والتكفير والعصبية والطائفية، ساحبة معها المجتمعات إلى صراعات تفتقر إلى أبجديات الأخلاق والتراحم والمحبة بين الناس. لذلك فالتحدي عند الرفاعي هو أن يقدَّم تجديد للتفكير الديني الإسلامي داع إلى السلام والمحبة بين المجتمعات الإنسانية، وذلك من خلال إعادة دراسة مقارنة الأديان لأجل البحث عن جوهرها المشترك ومصادر السلام المكنونة في نصوصها كنقطة أولى، ثم محاولة (الرفاعي، الدين والنزعة الإنسانية، 2018، صفحة 13) "استهلام الميراث الروحي المعنوي الأخلاقي العميق، واستدعاء التجارب الروحية التطهيرية التنزيهية السامية في التاريخ" وذلك لأجل محاولة ترسيخ صورة رحمانية جمالية للإله. ونود الإشارة هنا إلى أن نمط تعامل الإنسان مع نفسه ومع غيره متعلقة بصورة الإله المرسومة في ذهنه، لذلك تنزع الجماعات المتطرفة في الإسلام إلى رسم صورة دموية للإسلام، وهذا إنما يعكس صورة الإله المتعطّش للدماء والقتل والتعذيب في أنفسهم. وقد أطلق الرفاعي (الرفاعي، الدين والاغتراب الميتافيزيقي، 2019، صفحة 20) على نوع الأشخاص الذين يحتكرون رحمة الله بأتباع "اللاهوت الصراطي" فهم "من دون سواهم يفوزون بالنجاة والخلاص من العذاب والهلاك. ويغذي ذلك على الدوام اعتقاده بأنه يستطيع احتكار رحمة الله، بوصفها من الممتلكات الخاصة التي يستحوذ عليها معتقده. ويظل صاحب المعتقد الصراطي يتوهم بأنه قادر على حصر الرحمة الإلهية بأتباع ديانته، وتضييقها لدرجة يستطيع معها أن يستبعد كل من هو خارج هذا المعتقد من إشراقات رحمة الله".

والنقطة الثالثة هي محاولة (الرفاعي، الدين والنزعة الإنسانية، 2018، صفحة 14) "إنجاز مصالحة بين المتدين ومحيطه والعصر الذي يعيش فيه والإصغاء لإيقاع الحياة متسارعة التغيير، ووتيرة العلوم والتكنولوجيا التي لا تكف عن مفاجأتنا كل يوم بجديد تتبدل معه صورة العالم، وتختلف تبعا لها أساليب تعاطينا مع الواقع، إذ تتيح لنا وسائل الاتصال الجديدة وتكنولوجيا المعلومات والنانو والهندسة الجينية مغامرات وعي توقظ عقولنا وتخرجها من الحالة السكونية، وتقدم لنا سلسلة معطيات ومعارف وأدوات تصوغ لنا تصورات وأفكار تتبدل معها رؤيتنا للكون والحياة".

2.4 محاولة الخلاص من السلفية:

السلفية من منظور عبد الجبار (الرفاعي، الدين والظمأ الأنطولوجي، 2018، صفحة 14) تعني كل "قراءة سلفية للنصوص الدينية، وكل محاولة لاستدعاء للماضي أيا كان ودسه في الحاضر كما هو. مهما كانت الفرقة أو المذهب الذي يدعو لها ويتبناها. أعني بالسلفية ما هو أعم من المعنى المتداول اليوم الذي تنصرف فيه لمن يتبع ابن تيمية ومدرسته خاصة. إنها تشمل كل تفسير حرفي تبسيطي للنص الديني قابع في الحرف، عاجز عن تذوق مقاصد النص وأهدافه، مهما كانت الفرقة أو المذهب الذي ينتمي إليه صاحب التفسير، سواء كان سنيا أو شيعيا أو إباضيا أو زيديا. السلفية اتجاه في التفكير الديني حاضر في كل تفسير حرفي للنصوص الدينية، يتفشى في كل الأديان والفرق والمذاهب، يرسم صورته الخاصة لله، وهي صورة يشدد على تعميمها وفرضها على الكل بالإكراه. صورة تتصف ملامحها بالقسوة والشدة والعنف ومطاردة الإنسان ومحاربته، لا تحضر في ملامحها الرحمة والمحبة والشفقة والجمال والسلام". فالخلاص من السلفية أو من القراءة السلفية للدين تحديدا هو محاولة لتحرير العقل والسماح له بالاجتهاد والتفكير الحر الذي دعا إليه القرآن الكريم في آيات عديدة منه (عزيز عبد صياح و موحان تايه، 2024).

3.4 ترسيخ الحق في الاختلاف:

على الرغم من أن هذا المبدأ حق إنساني راسخ برسوخ النص القرآني، إلا أنه أكثر حق غير مأخوذ به من طرف المسلمين والجماعات الإسلامية، ويعيد عبد الجبار (الرفاعي، الدين والظمأ الأنطولوجي، 2018، الصفحات 36-37) تذكيرنا بهذا المبدأ بعدّه تحديا لا يزال يواجه المسلمين؛ فـ"لا معنى لسجن كل شيء في ثنائيات مانوية، هذا منطق قاد المجتمعات إلى حروب مرعبة، شيدت مسيرة البشرية بالجماجم. لا سبيل للعيش المشترك إلا أن نشبه الجميع/ دون أن نكون أحدهم، أو نسعى للتطابق معهم. نقتبس من كل جميل جماله، من كل مضيء ضوءه، من كل طاهر طهره، من كل نبيل نبله، من كل حيوي حيويته، من كل إيجابي إيجابيته، من كل متفوق تفوقه". وأطلق الرفاعي (الرفاعي، الدين والظمأ الأنطولوجي، 2018، صفحة 37) على الواقفين ضد حق الاختلاف بأصحاب الفكر الوثوقي، وهو نمط من التفكير "ينشد التوحيد القسري لأنماط التفكير والتعبير كافة، ومناهضة التعددية بمختلف تجلياتها وتعبيراتها. منطق الفكر الوثوقي ينشأ من شعور المرء بوجود وجه واحد للحقيقة، وطريق خاص به دون سواه لاكتشافها، وهو ما يسوقه للاعتقاد بامتلاك الحقيقة المطلقة، واستباحة كل فعل عدواني ينتهك الإيمان والقيم والأخلاق". وأصحاب هذا التفكير كانت لهم يد في تفسير النص الديني، لذلك فالرفاعي يدعو إلى ضرورة إخراج تفسير متحرر من هذا النمط، وإنتاج تأويل أو قراءة ذات رؤى ومفاهيم سامية، تضيء لغيرنا ما نراه الصحيح دون التحول إلى قضاة وجلادين (الرفاعي، الدين والظمأ الأنطولوجي، 2018).

4.4 الكفّ عن إنتاج المقدس:

إن الاتجاه السلفي في التفكير مولع بالتشبث بالماضي، وهذا ما يجعله يعالج (إن صحّ تعبير المعالجة) الواقع بالتلفيق مع ما يوجد في الماضي، فمتى ما وُجد شيء جديد حاضر إلا وَجدت أصحاب هذا النمط يحاولون إرجاعه إلى الماضي وإلصاقه بالنص الديني، فالماضي لا يزال يكبّل عقولنا (الرفاعي، الدين والظمأ الأنطولوجي، 2018، الصفحات 141-142) "وقد أفضى ذلك إلى أن تتيه عقولنا في الموضات الأيديولوجية والفكرية والسياسية، ويغرق تفكيرنا في إسقاط كل شيء يفتننا اليوم على النصوص الدينية، في محاولة يائسة للاستحواذ على كل ما يبهرنا من خلال لصقه بهويتنا. ويغذي هذه الحالة شغف مجتمعاتنا بإنتاج المقدس، فشغفها بإنتاج المقدس أشد من شغفها بإنتاج العلم والمعرفة والأدب والفن والغذاء، بل كل حاجاتها المادية الحقيقة. إنتاج مجتمعاتنا للمقدس أكثر من إنتاجها لكل شيء تحتاجه، مثل الغذاء والأشياء الآنية التي تستهلكها، لأن ما تأكله وتستهلكه ينتجه غيرها في الغالب. حتى العلم والمعرفة والأدب والفن لا تستسيغه مجتمعاتنا إلا إذا خلعت عليه رداء مقدسا".

خاتمة:

بعد الذي تقدّم من معالجة للإشكالية يتضّح لنا أن عبد الجبار الرفاعي وضع إشارات على طريق تجديد التفكير الديني من خلال إعادة النظر في علم الكلام الذي عدّه محور معارف وعلوم الدين الإسلامي، ومن خلال التجديد في علم الكلام يتجدد النظر في تعريف الدين وفي تعريف الإنسان، وفي نظرية المعرفة الإسلامية، وفي أدوات ووسائل الاجتهاد والنظر التي تساعد على إنتاج معنى موافق لمتطبات الحياة المتجددة بعيدا عن التراث.

ويمكننا حصر النتائج الرئيسة في المقال في النقاط الآتية:

يعرّف عبد الجبار الرفاعي الدين باعتبار وظيفته وهي إنتاج المعنى الروحي والأخلاقي لوجود الإنسان.

يحدد الرفاعي مفهوم التجديد بأنه تفكيك البنية التحتية التي أنتجت معارف الدين التراثية، ومحاولة غربتلها من أجل إعادة بنائها في ضوء العلوم الحديثة، وهذا التجديد يشمل كل نواحي التفكير الديني بداية من إعادة فهم الدين وتحديد وظيفته في حياة الإنسان.

لعلم الكلام الجديد عند الرفاعي أهمية كبيرة نظرا لكونها محور تجديد التفكير الديني الإسلامي.

من التحديات التي تواجه تجديد علم الكلام هو العودة بالتوحيد إلى كونه طاقة فاعلية عملية تنتج الإيمان، وبأنه لا بد من الاعتزاز بكرامة وحرية الإنسان أيا كان، كما يجب أن نجدد في آليات التفكير الكلامي، وفي ضرورة استدعاء المضمون الأخلاقي.

من التحديات التي تلازم المباحث التجديدية التي دعا إليها الرفاعي هو محاولة التخلص من نسيان الإنسان، ومحاولة التحرر من سلفية فهم الدين وفي التعامل مع الماضي، وفي ترسيخ حق الاختلاف المشروع قرآنا وفطرة، وفي الكفّ عن إنتاج المقدس والبدء بإنتاج العلوم والمعارف وما يساعدنا في حياتنا المعاصرة.

وأخيرا؛ إن الغوص في فكر عبد الجبار الرفاعي ومشروعه قد يأخذ الكثير من الوقت لدرجة أنه لا بد من تخصيص مؤتمر خاص به نظرا لما قدمه طيلة السنوات المديدة من عمره، والنتاج العلمي والمعرفي الثري الذي تركه لنا، وإننا في هذه العجالة التي ابتدأناها مع كتابتنا لهذا المقال لا نزعم أننا ألممنا بجميع أفكار التجديد الديني الإسلامي في فكر الرفاعي، بل هذا ما سمح به الوقت، وإن كانت تحتاج إلى مراجعة وتأني وتوسعة قد تعقب هذه الدراسة، وهذا ما نطلبه من الباحثين بعدنا.

المصادر والمراجع:

أسعد الكعبي، بهروز حدادي، و علي شمعون الشيخ. (2025). شمولية الخلاص برؤية عدد من المفكرين العرب المعاصرين؛ الدكتور عبد الجبار الرفاعي نموذجا. *دراسات في العلوم الإنسانية*، 55-83. تم الاسترداد من http://aijh.modares.ac.ir/article-31-72835-ar.html

صافية مناد. (2024). *فلسفة التجديد عند عبد الجبار الرفاعي علم الكلام الجديد مشروع مقارنة تحليلة ونقدية لأبعاد الفكر الإسلامي*. وهران: وحدة علوم الإنسان للدراسات الفلسفية والاجتماعية والإنسانية.

عبد الجبار الرفاعي. (2018). *الدين والظمأ الأنطولوجي*. بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين.

عبد الجبار الرفاعي. (2018). *الدين والنزعة الإنسانية*. بغداد، بيروت: مركز دراسات فلسفة الدين، دار التنوير للطباعة والنشر.

عبد الجبار الرفاعي. (2019). *الدين والاغتراب الميتافيزيقي*. بغداد، بيروت: مركز دراسات فلسفة الدين، دار التنوير للطباعة والنشر.

عبد الجبار الرفاعي. (2023). *مقدمة في علم الكلام الجديد*. بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين.

عبد الجبار الرفاعي. (2024). *الدين والكرامة الإنسانية*. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.

عبد الجبار الرفاعي. (بلا تاريخ). *الإجتهاد الكلامي مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد*. بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.

مريم خليفة المبروك. (2024). علم الكلام من مأزق التقليد إلى رهان التجديد عبد الجبار الرفاعي نموذجا. *مجلة جامعة بني وليد للعلوم الإنسانية والتطبيقية*، *9*(2)، 1-21. https://doi.org/10.58916/jhas.v9i2.237

مريم عزيز عبد صياح، و إبراهيم موحان تايه. (2024). الاجتهاد والتفسير في النصوص الدينية بالمناهج الحديثة المعاصرة في علم الكلام الجديد عند عبد الجبار الرفاعي. *مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية*، *16*(4)، 770-788. https://doi.org/10.31185/lark.Vol4.Iss16.3760

References :

As‘ad al-Ka‘bī, bhrwz Ḥaddādī, wa ‘Alī Sham‘ūn al-Shaykh. (2025). shumūlīyah al-khalāṣ bi-ru’yah ‘adad min al-mufakkirīn al-‘Arab al-mu‘āṣirīn ; al-Duktūr ‘Abd al-Jabbār al-Rifā‘ī namūdhajan. Dirāsāt fī al-‘Ulūm al-Insānīyah, 55-83. tamma alāstrdād min : http://aijh.modares.ac.ir/article-31-72835-ar.html

Ṣāfīyah Manād. (2024). Falsafat al-tajdīd ‘inda ‘Abd al-Jabbār al-Rifā‘ī ‘ilm al-kalām al-jadīd Mashrū‘ muqārabah taḥlīlīyah wa-naqdīyah li-ab‘ād al-Fikr al-Islāmī. Wahrān : Waḥdat ‘ulūm al-insān lil-Dirāsāt al-falsafīyah wa-al-Ijtimā‘īyah wa-al-insānīyah.

‘Abd al-Jabbār al-Rifā‘ī. (2018). al-Dīn wālẓm’ al’nṭwlwjy. Baghdād : Markaz Dirāsāt Falsafat al-Dīn.

‘Abd al-Jabbār al-Rifā‘ī. (2018). al-Dīn wa-al-naz‘ah al-Insānīyah. Baghdād, Bayrūt : Markaz Dirāsāt Falsafat al-Dīn, Dār al-Tanwīr lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr.

‘Abd al-Jabbār al-Rifā‘ī. (2019). al-Dīn wa-al-ightirāb al-mītāfīzīqī. Baghdād, Bayrūt : Markaz Dirāsāt Falsafat al-Dīn, Dār al-Tanwīr lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr.

‘Abd al-Jabbār al-Rifā‘ī. (2023). muqaddimah fī ‘ilm al-kalām al-jadīd. Baghdād : Markaz Dirāsāt Falsafat al-Dīn.

‘Abd al-Jabbār al-Rifā‘ī. (2024). al-Dīn wa-al-karāmah al-Insānīyah. al-Mamlakah al-Muttaḥidah : Mu’assasat Hindāwī.

‘Abd al-Jabbār al-Rifā‘ī. (bi-lā Tārīkh). al-ijtihād al-kalāmī Manāhij wa-ru’á mutanawwi‘ah fī al-kalām al-jadīd. Bayrūt : Dār al-Hādī lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘.

Maryam Khalīfah al-Mabrūk. (2024). ‘ilm al-kalām min ma’ziq al-taqlīd ilá Rihān al-tajdīd ‘Abd al-Jabbār al-Rifā‘ī namūdhajan. Majallat Jāmi‘at Banī Walīd lil-‘Ulūm al-Insānīyah wa-al-Taṭbīqīyah, 9 (2), 1-21. https://doi.org/10.58916/jhas.v9i2.237

Maryam ‘Azīz ‘Abd Ṣayyāḥ, wa Ibrāhīm mwḥān Tāyah. (2024). al-Ijtihād wa-al-tafsīr fī al-nuṣūṣ al-dīnīyah bi-al-manāhij al-ḥadīthah al-mu‘āṣirah fī ‘ilm al-kalām al-jadīd ‘inda ‘Abd al-Jabbār al-Rifā‘ī. Majallat lārk lil-falsafah wa-al-lisānīyāt wa-al-‘Ulūm al-ijtimā‘īyah, 16 (4), 770-788. doi: 10.31185/lark.Vol4.Iss16.3760